

إيبارشية جنوب الولايات المتحدة الأمريكية
كنيسة القديسة مريم للأقباط الأرثوذكس بأطلنطا
ولاية جورجيا

الأحد ٢٥ يناير سنة ٢٠١٥م / ١٧ طوبه سنة ١٧٣١ش

تعلمون يا أحبائي، أن احتفالنا بمعمودية الرب من أجلنا في مياه الأردن، يقع في اليوم الحادي عشر من شهر طوبه من كل سنة^(١)، أي في الأسبوع الثاني من هذا الشهر القبطي. ولذلك، ونظراً لأهمية هذا الحدث الجلل في حياة الكنيسة، وفي خلاص أولادها، يظل التقليد القبطي، محتفلاً بمعمودية الرب على مدى آحاد شهر طوبه كله من الأحد الثاني إلى الأحد الرابع.

إنجيل قُدَّاس الأحد الثاني من شهر طوبه، هو عن كرازة يوحنا المعمدان بمعمودية التوبة، لمغفرة الخطايا (لوقا ٣: ١-١٨).
وإنجيل قُدَّاس الأحد الثالث من شهر طوبه، هو عن مجيء الرب وتلاميذه إلى أرض اليهودية، حيث كان تلاميذ الرب يعمّدون. وكان يوحنا المعمدان أيضاً يعمّد، وشهادة يوحنا المعمدان للمسيح (يوحنا ٣: ٢٢-٣٦).

وإنجيل قُدَّاس الأحد الرابع من شهر طوبه، هو عن شفاء المولود أعمى، وهو الإنجيل الذي يُقرأ أيضاً في أحد التناصير في الكنيسة القبطية، كونه واحداً من رمزين من رموز المعمودية في العهد الجديد^(٢) (يوحنا ٩: ١-٣٨).

وأما فصول قراءات هذا اليوم، أي **الأحد الثالث من شهر طوبه**، فكلها تتحدث عن المعمودية، حيث:

• **إنجيل عشية** (يوحنا ١: ٥-١٨). وهو عن شفاء مريض بركة بيت حسدا، وهو أحد رمزين من رموز المعمودية في العهد الجديد.

وفي قول بديع للقديس أمبروسيوس أسقف ميلان (٣٣٩-٣٩٧م) يقول عن هذا الفصل من الإنجيل المقدس: [«إن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء، فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء، كان يبرأ من أي مرض اعتراه» (يوحنا ٥: ٤)]. هذه البركة كانت في أورشليم، حيث كان يبرأ فيها واحد كل عام. ولم يكن أحد يبرأ قبل أن ينزل الملاك. فبسبب أولئك الذين لا يؤمنون، كان الماء يتحرك كعلامة تدل على أن الملاك قد نزل. كانت عندهم علامة، وأنتم عندكم الإيمان. لأولئك نزل ملاك، ولكم أرسل الروح القدس. لأجل أولئك تحركت المخلوقات، ولأجلكم رب المخلوقات نفسه يعمل... حينذاك شفي إنساناً واحداً، والآن أصبح الكل معافي... تلك البركة كانت مثلاً، حتى تؤمنوا أن قوة الله تحل على هذا الجرن (جرن المعمودية)... [الأسرار: ٤]. وسوف أشرح بعد قليل، جوانب أخرى مبدعة في هذا الفصل من الإنجيل المقدس.

• **إنجيل باكر** (يوحنا ٣: ١-٢١). وهو عن حديث الرب مع نيقوديموس.

«الحق، الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله... إن كان أحد لا يولد من الماء الروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله».

• **فصل البولس** (عبرانيين ١٠: ١٩-٣٩).

«فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس (السماويات) بدم يسوع... لتتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان،

١- أي في يوم ١٩ يناير في السنوات القبطية البسيطة، أو ٢٠ يناير في السنوات القبطية الكبيسة.

٢- رموز المعمودية في العهد القديم، هي:

- الروح الذي كان يرف على وجه المياه، عندما خلق الله العالم بكلمة فيه (تكوين ١).

- الطوفان، وملك نوح (تكوين ٦).

- عبور البحر الأحمر (خروج ١٥).

- عبور الأردن إلى أرض كنعان (يشوع ٤).

- نزول نوحان السرياني في مياه الأردن (٢ ملوك ٥).

- ذبيحة إيليا النبي التي قدمها وسط المياه فقبلت بنار من السماء (١ ملوك ١٨).

- الختان (تكوين ٢١).

مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسله أجسادنا بماء نقي».

• فصل الكاثوليكون (١ يوحنا ٤: ١١-٢١).

عن قبول الروح القدس في المعمودية، يقول: «هذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه» ولأن الله محبة، «فمن يثبت في المحبة، يثبت في الله».

• فصل الإبركسيس (أعمال ٢: ٣٨-٤٥).

«توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح، لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس».

• إنجيل القُدَّاس (يوحنا ٣: ٢٢-٣٦).

«جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ... وكان يُعمد. وكان يوحنا أيضاً يُعمد في عين نون بقرب ساليم».

وسأحتاز الحديث عن المعمودية، لأتحدث في أمر آخر لا يقل أهمية، تطرقت إليه فصول القراءات في هذا اليوم المقدس، وهو عن موضوع الشفاء وغفران الخطايا.

نعرف من الكتاب المقدس، أن وسائل الشفاء وغفران الخطايا، كثيرة، وهي: (١) المعمودية (مرقس ١: ٤). (٢) الاستشهاد على اسم المسيح. (٣) الصدقة (لوقا ١١: ٤١). وتقول الديداعي «أعط مئماً تملك من تعب يديك، كفاً عن خطاياك» (ديداعي ٤: ٦). (٤) المغفرة للآخرين (متى ٦: ١٤، ١٥). (٥) كثرة المحبة (لوقا ٧: ٤٧)، (١ بطرس ٤: ٨). (٦) صلاة الإيمان (يعقوب ٥: ١٤). (٧) الاعتراف أمام الله والكنيسة على يد الكاهن (١ يوحنا ٩: ١). (٨) التناول من الأسرار المقدسة (متى ٢٦: ٢٧، ٢٨).

وسأحصر كلامي الآن عن علاقة الشفاء أو الغفران بالإيمان، والذي يندرج تحت ثلاثة مستويات، أعجبها هو ما يوضحه فصل إنجيل عشية هذا اليوم المبارك. وهذه المستويات الثلاثة هي:

المستوى الأول: إيمان المريض أو المخطئ، وبطلبه مباشرة منه إلى الرب، ينال الشفاء أو الغفران

+ يقول القديس بطرس الرسول عن المسيح له المجد: «له يشهد جميع الأنبياء، أن كل من يؤمن به، ينال باسمه غفران الخطايا» (أعمال ١٠: ٤٣).

+ «أكتب إليكم أيها الأولاد، لأنه قد غُفرت لكم الخطايا من أجل اسمه» (١ يوحنا ٢: ١٢).

+ يقول الرب لبولس الرسول حين ظهر له: «حتى ينالوا بالإيمان بي، غفران الخطايا، ونصياً مع المقدسين» (أعمال ٢٦: ١٨).

+ «وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً: يا سيّد، إن أردت، تقدر أن تطهّرني ... أريد فاطهّر» (متى ٨: ٢، ٣).

+ الأعميان «لما سمعوا أن يسوع مجتاز، صرخا قائلين: ارحمنا يا سيّد يا ابن داود ... ماذا تريدان أن أفعل بكما؟ قالا يا سيّد أن تفتح أعيننا. فتحنّ يسوع ولمس أعينهما ... فأبصرت ... فتبعاه» (متى ٢٠: ٣٠-٣٤).

+ شفاء المرأة نازفة الدّم «يا ابنة، إيمانك قد شفاك، اذهبي بسلام، وكوني صحيحة من دائك» (مرقس ٥: ٣٤).

+ يندرج تحت هذا المستوى قول الإنجيل: «أمريضٌ أحدٌ بينكم، فليدع قسوس الكنيسة، فيصّلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطيئة تُغفر له» (يعقوب ٥: ١٤، ١٥).

المستوى الثاني: الرب يشفي أو يغفر لإنسان، من أجل إيمان الآخرين وصلاتهم لأجله

+ في آية شفاء المفلوج الذي حمله أربعة من أصدقائه، ودلّوه من سقف البيت حيث كان يسوع. نقرأ: «فلما رأى (يسوع) إيمانهم (هم)، قال للمفلوج: ثق يا بُني، مغفورة لك خطاياك» (متى ٩: ٢).

+ في آية شفاء ابن خادم الملك (يوحنا ٤: ٤٦-٥٤). الرب يشفي الابن بسؤال الأب ولجأته «يا سيّد انزل قبل أن يموت ابني. قال له يسوع: ابنك حي. فأمن الرجل بالكلمة التي قالها له يسوع، وذهب». فإيمان الأب قد شفى الابن.

+ شفاء ابنة المرأة الكنعانية «يا امرأة، عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين. فشُفيت ابنتها من تلك الساعة» (متى ١٥: ٢٨).

+ شفاء ابن أرملة صرفة صيدا والتي نوّه الرب عنها في (لوقا ٤: ٢٥). «فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى

جوفه، فعاش» (ملوك ١٧: ٢٢).

+ «صلُّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يعقوب ٥: ١٦).

هذه هي قوَّة الشِّفاعة، وقوَّة الصَّلَاة من أجل الآخرين، سواء الأحياء منهم أو المنتقلين. وهذه هي أهميَّة الصَّلَاة على المنتقلين، وأهميَّة أوشية الرَّاقدِين في الكنيسة، وأهميَّة مجمع القديسين في القُدَّاس الإلهي. تقول الديداحي: «ليكن تردُّدك على الأبرار والمتواضعين ... اجتهد كلَّ يوم في طلب لقاء القديسين لترتاح بكلماتهم» (ديداحي ٣: ٩، ٤: ٢). «انظروا إلى نهاية سيرتهم» وليس طلباً لكراماتهم ومعجزاتهم.

المستوى الثالث: الرَّبُّ يشفي المريض أو يغفر للمخطئ دون أن يطلب هو، أو آخرون من أجله

وهو المستوى العجيب جداً الذي نجده في آية مُقعد بين حسدا.

- مقعد برُكة بيت حسدا، لم يطلب شيئاً من الرَّبِّ. ولكنَّه كان يشتكي حاله فقط. وبدون أي مقدمات، شفاه الرَّبُّ وغفر له خطاياها!!

- وهو نفس ما نجده في إقامة ابن أرملة نايين. «لما رآها الرَّبُّ، تحنَّ عليها وقال لها: لا تبكي. ثمَّ تقدَّم ولمس السَّعش. فوقف الحاملون. فقال: أيها الشاب، لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلَّم، فدفعه إلى أمه» (لوقا ٧: ١٣-١٥).

• الرَّبُّ لم يسأل المقعد عن إيمانه. ولم يكن المقعد يعرف من هو الذي يكلمه. ولكن بعد شفاه الرَّبُّ وغفر له خطاياها، عرفه بنفسه، فأمن به وتبعه. هنا مستوى جديد من مستويات الشِّفاء وغفران الخطايا.

• هذه هي طبيعة الفداء، طبيعة مجانيَّة مُطلقة، ومبادرة من طرف واحد هو الله. لم يطلب الرَّبُّ من المقعد شيئاً قبل أن يشفيه ويغفر له خطاياها. وهذا هو بالضبط ما فعله المسيح من أجلنا كلِّنا «ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا» (رومية ٥: ٨).

• وإنَّ الأمر العجيب جداً، هو أن قراءات هذا اليوم تخدم هذه الجزئية بوضوح كامل.

+ إنجيل عشية: الرَّبُّ صنع هذه الآية في عيد الفصح، كما يقول معظم الشُّراح «كان عيد لليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم». وهو العيد الذي ظلَّ على مدى العهد القديم كله، رمزاً للمسيح فصحنًا، الذي ذبح لأجلنا.

+ إنجيل باكر: «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية».

+ الكاثوليكون: وهو عن حُبِّ المسيح الذي ظهر في الصَّليب «إن كان الله قد أحبنا هكذا، ينبغي لنا أيضاً أن يحبَّ بعضنا بعضاً».

+ الإبركسيس: يتكلَّم عن سرِّ الحسد والدمِّ الكرّمين «وكانوا يواظبون على تعليم الرُّسل والشُّركة وكسر الخبز».

• وفي النهاية، علينا أن نتنبه، لأنَّ الرَّبُّ بعد أن شفى المقعد وغفر له خطاياها، أوصاه بالألاَّ يُعدُّ يخطئ.

+ البولس: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق، لا تبق بعد ذبيحة عن الخطايا ... فكم عقاباً أشر، تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذي قدَّس به دنسا، وازدرى بروح النعمة؟».

+ إنجيل القُدَّاس: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة».